

دور الأمير علي بن يوسف بن تاشفين في الحياة الفكرية بالأندلس
The role of Ali bin Yusuf bin Tashfin in intellectual life in
Andalusia



أ. الكاملة فرحات

rimalfarhat@gmail.com

جامعة الوادي

أ. ميلود حميداتو

miloud.hmdt@gmail.com

جامعة الوادي

تاريخ الاستلام: 2019/05/08 تاريخ القبول للنشر: 2019/05/20



ملخص:

تعد الأندلس من مصاف الحواضر الإسلامية خلال العصر الوسيط، إذ باتت تنافس كبريات الحواضر الإسلامية في المشرق على غرار بغداد، منذ أن رسخت أقدام المسلمين فيها وتأسسهم لأهم حضارة في المغرب الإسلامي، وقد استمرت الأندلس منارة للعلم والفنون والحضارة عبر سائر محطاتها التاريخية حتى سقوط آخر معاقل المسلمين فيها بغرناطة. ويلمح الدارس لتاريخ الأندلس جليًا كل بصمات الدول التي تعاقبت عليها، بل وبصمات الأمراء الذي تداولوا على حكمها أيضا، في مختلف الأصعدة العمرانية، والثقافية، والأدبية، وفي موضوع مقالتنا هذه نتناول بشيء من التركيز، يوسف بن تاشفين ودوره في الحياة الفكرية في الأندلس.

الكلمات الدالة : الحضارة الإسلامية – الحياة الفكرية – العمران والفنون – الرحلات العلمية – الأدب والشعر .

The abstract

Al-andalus is considered as one of the most important civic Islamic towns during the medieval ages competing the biggest Islamic civic towns in the Islamic orient like Baghdad , principally after the stability of the Muslim feet there ,keeping its role as a big Islamic lighthouse , till the fall of the last Muslims strongholds in Granada . therfore the historians can observe clearly the impacts of all the ruled dynasties , otherwise the impacts of all the emirs who were on the head of the political power , in different fields : urbanism , culture , literature ...etc in our article we will speak and focus on yousef ben tachafine and his role in the intellectual life .

Key words : the Islamic civilization – the intellectual life – urbanism and arts – scientific trips - literature and poetry .

Le résumé

L'Andalousie est considérée comme l'une des villes civiques islamiques les plus importantes à l'époque médiévale, rivalisant avec les plus grandes villes civiques islamiques de l'Orient comme Bagdad, principalement après la stabilité des pieds musulmans, conservant ainsi son rôle de grand phare islamique. jusqu'à la chute des derniers bastions musulmans à Grenade. Pour cela, les historiens peuvent observer clairement les impacts de toutes les dynasties dirigées, sinon les impacts de tous les émirs qui étaient à la tête du pouvoir politique, dans différents domaines: urbanisme, culture, littérature, etc. Dans notre article, nous allons parler et concentrer sur Youssef ben tachafine et son rôle dans la vie intellectuelle.

Mots clés: civilisation islamique - vie intellectuelle - urbanisme et arts - voyages scientifiques - littérature et poésie

منذ فتها على يد طارق بن زياد والاندلس تمثل حاضرة عظمى وعلى مختلف المستويات، وقد استمرت منارة للعلم والفنون والحضارة عبر سائر محطاتها التاريخية الى غاية سقوط آخر إماراتها، والدارس للأندلس اليوم يجد بصمات كل الدول التي تعاقبت

عليها بل تعدى الامر الى بصمات كل شخصية مدت سلطانها على الأندلس على الصعيد العمراني، الادبي، الفني الى غاية دولة المرابطين والامير علي بن يوسف بن تاشفين.

وقبل الحديث عن دور الامير في الحياة الفكرية بالأندلس علينا ان نعرض على ذكر العوامل التي ساهمت في ربط أواصر التقارب بين العدوتين وأهمها:

1 - الموقع الجغرافي: كان للموقع الجغرافي دورا هاما في ربط العلاقات بين المغرب - ككل - بالأندلس منذ الفتح الإسلامي، فعندما استكمل المسلمون فتح بلاد المغرب أدركوا الصلة الوثيقة بين القطرين، وخاصة وأن المظاهر الجغرافية متشابهة، فجبال الثلج في الأندلس هي امتداد لسلسلة جبال الأطلس في المغرب وقد شجع ذلك على عبور جيوش الفتح إلى الأندلس، وحتى موسى بن نصير لما علم بتخوف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86 - 96هـ / 705 - 715م) من عبور المسلمين البحر إلى الأندلس كتب له قائلا: "إنه ليس ببحر، وإنما هو خليج يصف ما خلفه للنظر".

ولطالما كانت الأندلس إقليما تابعا للمغرب سواء جغرافيا أو سياسيا، فمن الناحية الجغرافية تكاد تجمع المصادر على أن إقليم الأندلس إقليم من بلاد المغرب، إذ يعتبر آخر المعمور من إقليم المغرب، ولا يفصل بينهما سوى اثنا عشر ميلا، حتى أن أهل الجانبين يرى بعضهم بعضا، ونظرا لقرب المسافة بين القطرين أطلق على المضيق الذي يفصل بينهما اسم "المجاز" أو "الزقاق"، وهذا دليل على ضيق المسافة والتي يمكن عبورها في وقت قصير، ونظرا لسهولة الاتصال بين المغرب والأندلس، ارتبط القطران منذ العهود الأولى للفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة بعلاقات متينة، وفي شتى المجالات وخاصة أنه عرف وحدة سياسية في عهد المرابطين والموحدين.¹

2 - وحدة المذهب: كذلك من العوامل التي ساعدت على تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي بصفة عامة مع الأندلس هي الوحدة المذهبية والتي تمثلت في المذهب المالكي²، وقد اختص بهذا المذهب أهل المغرب والأندلس بصفة

خاصة، وسبب ذلك أن أهل المغرب الإسلامي كانوا في رحلتهم إلى الحج ينزلون بالمدينة المنورة، ولقد وجد أهل المغرب أن هذا المذهب يتلاءم مع تفكيرهم وطبيعتهم، ورغم محاولة الفاطميين نشر مذهبهم الشيعي بالقوة على حساب المذهب المالكي، إلا أن غالبية أهل المغرب ظلوا متمسكين بمذهبهم المالكي السني، والذي عرف انتشارا واسعا في عهد المرابطين نظرا لاهتمام المرابطين بالعلوم الدينية وخاصة الفقه، وأما في الأندلس فالأمر لا يختلف كثيرا عما هو عليه في المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي، حيث انتهج الأندلسيون منذ أول الفتح الإسلامي مذهب الإمام الاوزاعي³ إمام أهل الشام أصحاب اليد الطولى في فتح الأندلس، وكانت الدولة تعتمد عليهم أكثر من غيرهم بالأندلس، وبقي الأندلسيون على ذلك المذهب إلى أن أجبرهم السلطان الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل على تركه، والأخذ بالمذهب المالكي، ومنذ ذلك الحين أصبح المذهب السائد في الأندلس والمعمول به في الفتوى والقضاء، كل ذلك انعكس إيجابا على العلاقات الثقافية بين القطرين، حيث شجع ذلك على حركة العلماء بين المغرب الأوسط والأندلس⁴.

3 - دور المراسي: أدت المراسي دورا كبيرا في تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس من خلال تسهيل عملية التبادل الثقافي والتجاري بين القطرين وأهم تلك المراسي:

أ - مراسي المغرب الأوسط

- وهران: هي مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط تبعد على تلمسان بحوالي مائة وأربعين ميلا⁵، اشتهرت بمينائها الذي يقابل ميناء ألمرية الأندلسية، إذ كان مقصدا للسفن ومنه كانت أكثر تحركا نحو ساحل الأندلس، ولها مرسيان وهما المرسى الصغير، والمرسى الكبير حيث ترسوا به المراكب والسفن لاستتاره من الرياح، وكانت مراكب الأندلس في حركة دائبة اليه⁶ تحمل السلع الأندلسية ومنه تحمل

المنتوجات المغربية إلى الأندلس⁷، وهكذا كان له الدور الكبير في ربط العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس⁸.

- تلمسان: فمن أهم الموانئ التي زخر بها المغرب الأوسط ميناء هنين وارشقول فقد كانا من أهم المرفئ لتصدير منتجات تلمسان والمناطق المحيطة بها، سيما أن هذه الأخيرة كثيرة الخصب والرخاء ووفرة الخيرات والنعم، وميناء هنين يقع في شمال مدينة تلمسان، وهو مرسى مقصود لكثرة ثماره وبساتينه إذ تطور هذا الميناء ليصبح مدينة صغيرة عامرة⁹ ويمثل مرسى تلمسان وطريقها نحو الأندلس¹⁰ أما ميناء ارشقول (يعرف بعدة تسميات منها: ارشقول أو ارجكول أو ارشغول)، فهو الميناء عبارة عن حصن عامر له مرسى كبير¹¹ يقع عند مصب نهر التافنة، وارشقول هي مرسى تلمسان يقابلها من بر الأندلس مدينة ألمرية¹².

ب - مراسي الأندلس:

مالقة: تقع جنوب الأندلس ضمن إقليم الأندلس الشرقي، وهي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط إلى الغرب من مدينة ألمرية بين اشبيلية شرقا وغرناطة غربا، وهي إحدى أهم قواعد الأندلس، وذلك نظرا لموقعها الحصين الجامع لمرافق البر والبحر، ولكونها تقع على ساحل البحر فقد لعب مرساها الطبيعي دورا كبيرا في ربط المغرب الأوسط بالأندلس سواء من الناحية التجارية أو الثقافية.

ألمرية: هي واحدة من المدن القلائل التي أحدثها المسلمون في الأندلس، أنشأها الخليفة عبد الرحمان ناصر لدين الله سنة (344هـ/955م) على الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس، وقد كان للألمرية دور كبير في أحداث الأندلس، وتعتبر من أعظم قواعد الأسطول الأندلسي ومن أشهر المراكز التجارية البحرية يقصدها التجار من مختلف الأقطار والجهات.

المنكب الأندلسي: تقع هذه المدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين ألمرية ومالقة، واشتهرت بصيد السمك، وبها دار صناعة لإنشاء السفن، ولها هي الأخرى

مرساها الذي لعب دورا هاما في تمتين الروابط الثقافية بين المغرب الإسلامي بصفة عامة، والمغرب الأوسط بصفة خاصة مع الأندلس، ومثلت منطلق الكثير من العلماء يركبون البحر منها إلى مراسي المغرب الأوسط مباشرة¹³.

4 - رحلات الحج وطلب العلم: لقد كان عدد من العلماء ينتقلون بين الأندلس والمغرب ناشرين معارفهم، مما أدى إلى تكوين تراث موحد، وساعد على التقارب بين الأقطار في توحيد التصورات والأذواق والاهتمامات في ميادين الفكر والثقافة، إذ كان طلاب العلم منذ القرن (5هـ) ينتقلون وبحرية تامة بين مراكز العلم، من هؤلاء عبد الله بن ياسين مؤسس الدولة المرابطية الذي سبق له أن درس بالأندلس¹⁴.

5 - استنجد أهل الأندلس بالمرابطين: عندما انغمس ملوك الطوائف حكام الأندلس - بعد سقوط الخلافة الأموية - في الملذات والترف وضعفت عقيدتهم الإسلامية، وانحرفوا عن النهج الرباني وأهملوا أمر الجهاد، وشغفوا بمولاة النصارى والثقة بهم ضد إخوانهم، إذ كانوا يؤدون لهم الجزية مقابل الاحتفاظ بعروشهم التي تحتز تحتهم ويستخدمون المرتزقة النصارى لحماية أنفسهم بعد أن فقدوا الأمل بمواطنيتهم، ولهذا وغيره انهارت الروح المعنوية للشعب الأندلسي بعدما رأى من أمرائه التخاذل والخيانة وإجبارهم على دفع الضرائب التي أرهقت كاهلهم وعكرت حياتهم، وأصبحوا بين حكام مبتزين وأعداء متربصين، وخاصة عندما هاجم ألفونسو السادس مدينة طليطلة (478هـ/ 1085م)، ثم وجه اهتمامه نحو المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وقرطبة¹⁵، عندها استنجد أهل الأندلس بالمرابطين ضد أطماع ألفونسو السادس، فسار إليهم يوسف بن تاشفين بجيوشه لإنقاذهم، وأحرز نصره المشهور على جيوش النصارى في واقعة الزلاقة غربي الأندلس سنة (476هـ/ 1086م) وقد مكنتهم ذلك من خلع ملوك الطوائف وضم الأندلس إلى حكم المرابطين، ومن ثمة أعطوها عناية خاصة، واستفادوا من إمكانياتها المادية والبشرية، وخاصة في الشؤون البحرية، وشكلوا منها قوة بحرية منظمة موحدة

وقيادات حكيمة ماهرة، مثل أسرة بني ميمون التي قادت أساطيل المرابطين إلى النصر في معظم المعارك التي خاضتها في صقلية¹⁶.

دور الأمير علي بن يوسف بن تاشفين¹⁷ في الحياة الفكرية بالأندلس:

كان المجتمع الأندلسي في ظل حكم ملوك الطوائف لا يشعر بالاستقرار جراء كثرة الفتن المتأججة باستمرار، مما أدى إلى عدم اطمئنان الكثير من العلماء على أنفسهم وعلمهم، واضطربهم ذلك إلى الهجرة فرارا من تلك الاضطرابات، لكن ما إن تدفق المرابطون إلى الأندلس حتى استتب الأمن والاستقرار، حيث وحد المرابطون بين العدوتين المغرب والأندلس، وبسطوا ظلهم على القطرين، وكان لهذا التوحيد أثر عظيم في تاريخ الحضارة المغربية والأندلسية باختلاط المؤثرات المغربية بالمؤثرات الأندلسية، وامتزاج حضارة راقية بحضارة أقل رقيا وازدهارا، وسوف يتمخض هذا المزج بين الحضارتين عن تألق نجم الثقافة¹⁸، لأن المرابطين اهتموا بالعلم وأولوا عناية خاصة بالثقافة الأندلسية، حيث نهلوا من مشاربها ومواردها المختلفة وشجعوا الأدب والعلوم بعد استقرار النظام واستتباب الأمن، وخاصة في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين الذي لم يتوان في تشجيع الحياة الأدبية والعلمية، كما هو الحال في عصر الطوائف، وذلك من حيث اهتمام دولته بالشعراء والأدباء وتشجيعهم بالعطايا، الأمر الذي ساعد على تألق الحياة الأدبية والعلمية في ظل حكمه، كما أن دولته لم تحاول أن تحجر على حرية العلماء والأدباء كما يزعم بعض الباحثين وخاصة المستشرقين منهم¹⁹، وما قيل عن انحطاط العلوم والشعر والأدب في عصر المرابطين بالأندلس ما هو إلا أكذوبة استشراقية²⁰ إذ عمل ملوك المرابطين وأمرؤهم على تشجيع المؤثرات الأندلسية وشد أزر العلماء بكل السبل، وسنحاول أن نستعرض تلك الجمهرة من العلماء والأدباء الأندلسيين الذين سطع نجمهم في عهد المرابطين وخاصة في عصر الأمير علي بن يوسف الذي نهضت في عهده مدارس الأندلس وتفوقت تفوقا ظاهرا، منها²¹:

الفقه: لقد ظهر في شبه الجزيرة الأندلسية جمهرة كبيرة من أعلام المحدثين والفقهاء في عصر المرابطين وكان في مقدمة هؤلاء عالمان من أعلام مدارس الأندلس لمع نجم أحدهما في شرق الأندلس ولمع نجم الثاني في غربها، وكان لهما أكبر الأثر في ازدهار علوم السنة والفقه في ذلك العصر.

أولهما العلامة الحافظ: أبو علي حسين بن محمد بن فيرة الصدي، أصله من سرقسطة بالأندلس، وبها كان مولده ونشأته، درس فيها ثم رحل إلى المشرق سنة 481هـ، وحج ودرس بمكة المكرمة ودمشق والقاهرة، ثم عاد إلى الأندلس سنة 480هـ واستوطن مرسية أين ذاع صيته العلمي، واشتهر بالأخص في علوم السنة، واشتغل بالقضاء مدة لكنه فضل نشر العلم وتدريسه²²، لأنه كان عالما بالحديث وطرقه، عارفا بعلمه ورجاله بصيرا بالجرح والتعديل، حافظا لمصنفات الحديث، ذاكرة لمتونها وأسانيدها، وكان قائما على الصحيحين مع جامع أبي عيسى الترمذي، حيث تصدر في زمن الأمير علي بن يوسف في نشر الكتاب والسنة في مرسية بالأندلس، فهرع الناس إليه لسماعه والأخذ عليه، وله عدة مؤلفات في الحديث، واستشهد الصدي في معركة كتندة بالأندلس سنة 514هـ²³.

أما العالم الثاني فهو القاضي الفقيه أبو بكر بن العربي المعافري، من أعظم فقهاء عصر المرابطين وحفاظه بالأندلس، ولد بـاشبيلية سنة 468هـ، برع في الحديث والأدب، رحل إلى المشرق ودرس بمكة المكرمة والقاهرة وبغداد ودمشق ثم عاد إلى الأندلس سنة 493هـ وانقطع للتدريس ونشر العلم، ومن أشهر مؤلفاته: كتاب "العواصم والقواصم" وكتاب "ترتيب الرحلة" وكتاب "أنوار الفجر" في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكتاب "قانون التأويل"، وكتاب "التلخيص في النحو" وكتاب "القيس في شرح موطأ مالك" وبلغت مؤلفاته نحو 40 مؤلفا²⁴.

كما كان من أعلام الفقه في عصر المرابطين بالأندلس، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد، ولد بقرطبة سنة 450هـ، وتوفي فيها سنة 520هـ، كان قاضي الجماعة بقرطبة، وقد برع بالأخص في الفقه المالكي، وألف عدة مصنفات جلييلة منها كتاب

المقدمات لأوائل كتاب المدونة"، وكتاب "البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل" كما كان من المقربين إلى البلاط المرابطي في عهد علي بن يوسف²⁵.
ويضاف إلى جبهة الفقهاء المحدثين والحفاظ في عصر المرابطين الفقيه أبو القاسم أحمد التميمي من أهل ألمرية، كان متمكنا - أيضا - من الأدب والنحو والتاريخ وامتقنا لعلوم الأصول والتفسير، أسند إليه مع زميله ابن العربي مهمة رئاسة الفقه المالكي في العصر المرابطي وتوفي بألمرية سنة 540هـ / 1146م، ومن أعلام المحدثين والفقهاء - كذلك - أبو العباس أحمد الأنصاري الخزرجي، أصله من سرقسطة ومولده ألمرية سنة 502هـ، وكان محدثا بارعا وفقيها متمكنا متقدما في علم الكلام، وكاتبا بليغا، وأهم مصنفاته كتاب "شرح الشهاب" وكتاب "أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار".

والفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق المحاربي من أهل غرناطة ولد سنة 418هـ وتوفي 542هـ، برع في علوم القرآن والسنة، وكان فقيها متبحرا وأديبا واسع المعرفة، تولى القضاء في غرناطة وألمرية، وألف في التفسير كتابا ضخما لخص فيه كل ما تقدم من كتب التفسير، واشتهر بالمغرب والأندلس وألف كتاب في الأنساب، ومن أشهر فقهاءهم عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله المعافري، وكان من الفقهاء الوزراء متمكنا من الفقه والحديث، بارعا في الأدب محسنا للنظم كاتبا بليغا، ولي أيام الأمير علي بن يوسف مستخلص غرناطة واشبيلية "الأملاك السلطانية" فقام على إدارتها بحزم وكفاية وتوفي سنة 518هـ / 1124م²⁶.

النحو وعلوم اللغة: وعن العلوم العربية فقد نفقت سوقها وراجت بضاعتها وظهرت في بلاد الأندلس في العهد المرابطي طائفة من الكتاب المجيدين برعوا في الكتابة، وأحاطوا بأسرار اللغة، فتهافتت عليهم الملوك والرؤساء يستخدمونهم في دواوين الإنشاء²⁷، ولعل ابرز شاهد على ذلك عهد الأمير علي بن يوسف الذي برز في عصره عدد كبير من العلماء المتخصصين في النحو وعلوم اللغة نذكر منهم:

أبا محمد عبد الله البطليري، أصله من بطليوس غرب الأندلس، ولد سنة 444هـ وسكن بلنسية بالأندلس ودرس بها، إذ كان حجة في علمه متبحراً في النحو وعلوم اللغة، وكان الطلاب يجتمعون إليه يأخذون من علمه، ومن مؤلفاته كتاب "الاقتضاب في شرح أدب الكتاب"، وكتاب "التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة" وكتاب آخر في شرح الموطأ، وشرحه لكتاب "سقط الزند" لأبي العلاء المعري، وكتاب في الحروف الخمسة "السين والصاد والضاد والطاء والذال"، كما كان شاعراً مقتدرًا وله نظم في الشعر وتوفي سنة 521هـ / 1127م.

ومن أئمة اللغة وأعلامها في عصر الأمير علي بن يوسف، هو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري النحوي، وقد كان من أهل المعرفة بالآداب واللغة متقدماً في علم القراءات²⁸، ومن أعلام اللغة —أيضاً— يونس بن محمد بن مغيث، ولد بقرطبة سنة 447هـ، ودرس بها وبرع في علوم اللغة، وكذلك الرواية، وعلم الأنساب، وفي الأدب وتوفي سنة 532هـ / 1137م، ومنهم أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله المعروف بالتدميري، لأصله من تدمير، نشأ بألمرية وبرع في الآداب العربية واللغات، سكن بجاية وقتاً في ظل بني حماد وله عدة مؤلفات منها كتابه "التوطئة في العربية"²⁹، وكتاب "نظم القرطين وضم أشعار السقطين" وكتاب "سماء" شفاء الصدور" وكتاب "الفوائد والفرائد"، توفي التدميري سنة 555هـ، ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن هشام الفهري الذي كان من أهل المعرفة بالنحو واللغة والعروض، له كتاب بعنوان "فوائد الإفصاح عن شواهد الإيضاح"³⁰.

الشعر: تميز عصر يوسف بن تاشفين بالجهاد والكفاح فلم يهتم بالشعر والشعراء، لكن في عصر الأمير علي بن يوسف ازدهر سوق الشعر واقتبل الشعراء على الأمراء يمدحون ويتملقون³¹، كما حظي الشعراء في عصره بمكانة عظيمة لدى الأسرة الحاكمة، وكبار القادة وعمال الدولة على الأقاليم المختلفة³²، وقال أحدهم عن ازدهار الشعر في عصر علي بن يوسف ما يلي: "إن الشعر الأندلسي لم يمت في عصر المرابطين، وكل ما حدث

أنه كيّف نفسه بما يلائم الظروف الجديدة التي أحاطت به، بيد أنه من الإنصاف أن نقرر أن خلفاء يوسف بن تاشفين لم يلبثوا أن استسلموا لسلطان الثقافة الأندلسية القاهرة، وأصبحوا اقرب إلى الأندلسية منهم إلى الأفارقة"، فقد ازدحم بلاط الأمير علي بن يوسف بنخبة من أعظم شعراء الأندلس كما وجد الشعراء في بلاده وفي قصور الأمراء وفقهاء وعمال الدولة المرابطية ما عوضهم عما فقدوه بعد سقوط دويلات الطوائف، والواقع أن عصر علي بن يوسف كان امتدادا لعصر الطوائف لاهتمامه بالشعر والشعراء³³، ومن جملة الشعراء الأندلسيين الذين تألقت أسماؤهم في فضاء الشعر خلال عصر المرابطين منهم:

إبراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله بن خفاجة الهواري، الشاعر صاحب الديوان المعروف الذي مجد فيه أمراء المرابطين ومدحهم وتغنى بشمائهم، ولذلك نال ردهم وعطاءهم³⁴. وقد شاع فن الموشحات والزجل في عصر المرابطين، إذ يقول ابن خلدون عن نشأة فن الموشحات: "وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذيب مناحيه وفنونه وبلغ التعميق في الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنا يسمونه بالموشح ينظمونه أسماطا وأغصانا يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالية فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد... واستطرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه"³⁵، ولقد تفوق فن الموشحات تفوقا عظيما على يد الشاعر أبا العباس أحمد بن عبد الله القيسي المعروف بالأعمى التطيلي، وأما عن نشأة الزجل فقال ابن خلدون عنه: "انه لما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتعميق كلامه وترصيع أجزائه نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب واتسع

فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة" ويعتبر أبو بكر بن قزمان القرطبي أول من ابتكر الزجل ومن أشهر أرحاله ما كان في مدح القاضي أحمد بن الحاج، ومن قوله: "وصل المظلوم لحق وانتصف غنى ومسكين يحضر الإنكار والإقرار، ويقع الفصل فالحين اجتمع فيه الثلاثة الورع والعلم والدين، فيزول الحق إذا زال ويدوم الحق إذا دام"³⁶.

علوم التاريخ: ظهر في عصر المرابطين عدد كبير من أعلام الرواية والكتابة التاريخية، نذكر في مقدمتهم: أبو زكريا بن يحيى بن يوسف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي، كان من أعلام عصر الأمير علي بن يوسف في البلاغة والأدب والتاريخ، كتب بغرناطة عن الأمير تاشفين بن علي بن يوسف أيام أن كان واليا على الأندلس، وألف في تاريخ الأندلس في العصر المرابطي كتابا سماه "الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية"، وكتاب آخر سماه "قصص الأنبياء وسياسة الرؤساء" توفي ابن الصيرفي بغرناطة سنة 570هـ، وهناك أبو الحسن علي ابن بسام الشنتريني صاحب كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، وهذا الكتاب موسوعة أدبية تاريخية يتضمن تراث القرن الخامس الهجري، وتوفي الشنتريني سنة 542هـ، ومنهم أبو عبد الله محمد بن خلف بن الحسن بن إسماعيل الصدي، ويعرف بابن علقمة وهو من أهل مدينة بلنسية، كتابه بعنوان "البيان الواضح في المسلم الفادح" وتوفي ابن علقمة سنة 509هـ/1114م، وأبو طالب عبد الجبار عبد الله بن أحمد ابن اصبع، له كتاب سماه "عيون الإمامة ونواظر السياسة"، وأبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي المعروف بالسالمي، ألف كتابا في التاريخ سماه "القلائد وغرر الفوائد"، وأبو القاسم حلف بن عبد الملك ويعرف بابن بشكوال، من أعلام المؤرخين في عصر المرابطين، وأشهر مؤلفاته كتابه "الصلة" تحدث فيه عن علماء الأندلس، ومن مؤلفاته كتابه "الغوامص والمبهمات" في اثني عشر جزءا، وكتاب "المحاسن والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل" في إحدى وعشرون جزءا، وقد توفي ابن بشكوال في سنة 578هـ، وأبو نصر الفتح بن محمد القيسي الاشبيلي، المعروف بالفتح بن خاقان، من

مؤلفاته كتاب "قلائد العقيان في محاسن الأعيان" وكتاب آخر سماه "مطمع الأنفس ومسرح التأنس" وكتاب "رواية المحاسن وغاية المحاسن"³⁷.

علوم الفلسفة: كان من أئمة فلاسفة العصر المرابطي مالك بن وهب وزير الأمير علي بن يوسف واقرب المقربين إليه، اخذ من كل فن بطرف، وبرع في علوم اللغة وتفوق فيها، وألف كتابا سماه "قراضة الذهب في ذكر أيام العرب في الجاهلية والإسلام" وضم إلى ذلك ما يتعلق به من الآداب، فجاء الكتاب فريدا من نوعه، كما برز الفيلسوف أبو بكر بن باجة، من سرقسطة، الذي ذاع صيته بالأندلس وأوربا في العصور الوسطى، وهو صاحب مدرسة الشك، تأثر بالفلسفة اليونانية، وأشاع هذا المذهب بين شعراء الأندلس في العصر المرابطي³⁸، ويعتبر ابن باجة من أعظم فلاسفة الأندلس ومفكراتها، إذ كتب نحو خمس وعشرون كتابا³⁹.

علوم الطب: تقدمت العلوم الطبية والصيدلانية في عصر المرابطين تقدما شهد له الأسماء والأعلام التي تألفت في حضارة الأندلس والمغرب، وأشهرها ابن زهر وهو طبيب أندلسي من أعظم أطباء الإسلام، من أسرة أندلسية لمعت في ميدان الطب والعلوم الطبيعية والكيميائية، عميدها الأكبر هو أبو مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد بن مروان بن الأزهر الأيادي الاشبيلي، حيث رحل أبو مروان في شبابه إلى المشرق وسمع في القيروان ومصر، وتلمذ على أيدي علماء المشرق في الطب، ثم رجع إلى الأندلس وأصبح من أشهر علماء الطب فيها، توفي في مدينة اشبيلية، وورثه في علم الطب ابنه أبو العلاء الذي تبوأ مكانة عظيمة في دولة المرابطين، ومن مؤلفاته كتاب "الخواص" وكتاب "الأدوية المفردة" وكتاب "الإيضاح بشواهد الافتضاح"، وله مقالة في تركيب الأدوية، وتوفي أبو العلاء في قرطبة سنة 525هـ، ودفن في اشبيلية، عندها أمر الأمير علي بن يوسف أن تجمع كتبه ونسخها وتم ذلك سنة 526هـ، ومن الأطباء الذين برعوا في عصر علي بن يوسف الطبيب أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوي، له في الطب كتاب سماه "الشفاء"، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن سعيد السعدي وغيرهم، ومما يؤكد اهتمام

دولة المرابطين بالطب وجود منصب يعرف برئيس الصناعة الطبية، وهو منصب هام يقابل ما نطلق عليه اليوم اسم وزارة الصحة⁴⁰.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، وبعد وقوفنا على الحياة الفكرية بالأندلس في عصر علي بن يوسف بن تاشفين؛ فإننا قد توصلنا إلى عدة نتائج، نذكر منها:

- كان للجغرافيا دورها البارز في التقارب بين المغرب والأندلس، وشكلت جسرا طبيعيا يربط بين القطرين اجتماعيا ومن وراءه ثقافيا.
- قوة الحكم الأموي في الأندلس عزز من حظوظ انتشار المذهب المالكي هناك، وساعد على تمتين العلاقة مع بلاد المغرب.
- لكون القطرين يشرفان على نفس البحر وتنتشر المراسي والموانئ قبالة بعضهما زاد من قوة التقارب بينهما.
- كل تلك العوامل ساهمت في سهولة الانتقال والتقارب بين العدوتين سلما بالتلاقح الذي يؤدي دوره طلاب العلم في طريق بحوثهم وتحصيلهم العلمي، وحرابا بما جسدهته نجدة يوسف بن تاشفين لأهل الأندلس بعد طغيان حكامهم وانحيازهم عن جادة الصواب.
- الطابع العسكري لدولة المرابطين لا ينفي اهتمامهم بالجوانب الحضارية وتشجيع البحث العلمي، وما استمرار نهضة الحياة الفكرية في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين إلا أكبر برهان على ذلك.

الهوامش:

- 1 - عبد القادر بوحسون: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني (633-962هـ / 1235-1554م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة بكر بلقايد، تلمسان، 2007 - 2008م، ص ص 105 - 106.

- 2- **المذهب المالكي:** هو أحد المذاهب السنية الأربعة المشهورة في الفقه الإسلامي ينسب لصاحبه مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر المولود سنة 93هـ/712م والمتوفي 179هـ/795م إمام أئمة دار الهجرة المدينة المنورة لكونه درس وعاش فيها كان جامعاً للحديث الشريف وحافظاً له، حتى لقب بأمر المؤمنين في علم الحديث. أنظر: عبد القادر بو حسون: مرجع سابق، ص 116 .
- 3 - **الاوزاعي :** هو ابو عمرو عبد الرحمان بن عمر الاوزاعي نسبة إلى الاوزاع وهي قرية بدمشق، كان إمام أهل الشام كثير العلم والفقه ومن كبار التابعين وأئمتهم، ولد سنة 88هـ / 707م وتوفي 157هـ / 773م. أنظر: عبد القادر بو حسون: نفسه، ص 116.
- 4- عبد القادر بو حسون: نفسه، ص ص 116 – 122.
- 5 -عبد القادر بو حسون: نفسه، ص ص 107 – 111 .
- 6 - عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480-540هـ/ 1056 – 1145م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ بجامعة الجزائر، 2008 – 2009م، ص 387.
- 7- ربحاب محمد كمال: التجارة في عصر بني حماد 408 – 547هـ/ 1017 – 1152م، قسم التاريخ بجامعة دمياط، 2015م، ص 25.
- 8- عبد القادر بو حسون: مرجع سابق، ص 111.
- 9- عيسى بن الذيب: مرجع سابق، ص ص 387 – 388.
- 10- محمد مبارك الملي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الملي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج 2، ص 333.
- 11- عيسى بن الذيب: مرجع سابق، ص 387.
- 12- ربحاب محمد كمال: مرجع سابق، ص 24.
- 13- عبد القادر بو حسون: مرجع سابق، ص ص 107 – 111.
- 14- رزقي نبيلة: الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلس (القرن 7 – 8هـ/ 13 – 14م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم تخصص علم الآثار والمحيط، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2014 – 2015م، ص 45.
- 15 - سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1985م، ص ص 60 – 63.

- 16 - مختار احمد العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ص 320 - 321.
- 17- علي بن يوسف بن تاشفين: تولى حكم دولة المرابطين خلفا لوالدة يوسف بن تاشفين في سنة 500هـ/1106م عندما كان عمره 23 سنة، ودام حكمه إلى غاية سنة 537هـ/1142م، انظر: حسن على حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي بمصر، ط1، 1980م، ص ص 32 - 68.
- 18- حسن احمد محمود: قيان دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ص 426 - 427.
- 19- حمدي عبد المنعم حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، ص 420.
- 20- محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط 1، 2003، ص 204.
- 21- حسن احمد محمود: مرجع سابق، ص ص 429 - 433 .
- 22 - محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1990م، ص ص 455 - 456.
- 23 - محمد علي الصلابي: مرجع سابق، ص ص 209 - 209.
- 24- محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص 456.
- 25 - محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص 457. وانظر: حمدي عبد المنعم حسين: مرجع سابق، ص 397.
- 26 - محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص ص 457 - 459.
- 27 - حسن احمد محمود: مرجع سابق، ص 434.
- 28 - محمد علي الصلابي: مرجع سابق، ص 222. وانظر: محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص ص 468 - 469.
- 29- محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص ص 468 - 469.
- 30- حمدي عبد المنعم: مرجع سابق، ص 400.
- 31 - حمدي عبد المنعم حسين: مرجع سابق، ص 382.
- 32 - محمد علي الصلابي: مرجع سابق، ص 202.

- 33 - حمدي عبد المنعم حسين: مرجع سابق، ص ص 383 - 389.
- 34 - حسن احمد محمود: مرجع سابق، ص ص 435 - 436.
- 35- محمد علي الصلابي: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 2009، ص 213.
- 36 - محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، مرجع سابق، ص 206.
- 37 - محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، مرجع سابق، ص 223.
- 38 - حسن احمد محمود: مرجع سابق، ص 436.
- 39 - محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص 470.
- 40- محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، مرجع سابق، ص ص 225 - 256.